مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال ٩: ٣٢–٤٣)

في تلك الأيام فيما كان بُطرسُ يطوفُ في جميع الأماكن نزلَ أيضاً إلى القدِّيسينَ الساكِنينَ في لُدَّة* فوجد هناك إنساناً اسمه أينياس مُضطَجعاً على سرير منذ ثماني سِنينَ وهو مخلَّع* فقال له بطرسُ يا أينياسُ يشفِيكَ يسوعُ المسيحُ قُم وافتَرِشْ لنفسك. فقام للوقتِ* ورآهُ جميعُ الساكِنينَ في لُدَّة وسارونَ فرجعوا إلى الرب* وكانت في يافا تِلميذةٌ اسمها طابيتا الذي تفسيرُهُ ظَبية. وكانت هذه مُمتلئةً أعمالاً صالحةً وصدقاتٍ كانت تعملُها* فحدث في تلك الأيامِ أنَّها مَرِضَت وماتت. فغَسلوها ووضعوها في العلِّيَّة* وإذ كانت لُدَّةُ بقربِ يافا وسمعَ التلاميذُ أنَّ بطرُسَ فيها أرسلوا إليه رجُلين يسألانِه أنْ لا يُبطئ عن القدوم إليهم* فقام بطرُسُ وأتى معهما. فلمَّا وصل صعِدوا به إلى العلِّيَّة ووقف لديه جميعُ الأرامِلِ يبكينَ ويُرينهُ أقمِصةً وثياباً كانت تصنَعُها ظَبيةُ معهنَّ*

«قم، احمل سريرك وامش»

يعتقد الباحثون أن ما كان يعاني منه مُقعَد بركة «بيت حسدا» هو مرض عَضَلي يبدأ بما يشبه التشنج في كافة عضلات الأطراف، ويتفاقم تباعاً ليصبح انقباضاً حاداً ومزمناً يؤدّي إلى تيبّس المفاصل وغالباً تخلّعها. هذا ما يُفسّر عدم قدرته على النزول في مياه البركة متى تحرّكت، بالرغم من أنه كان ملقى على حافتها. إذا وضعنا جانباً التشخيص الطبي لحالة ذاك المقعد، نرى في النصّ الإنجيلي المتلو علينا اليوم إنساناً ملقى على حافة خلاصه، يشتهيه ويعرف أين هو، ولكنّه عاجز عن أن يناله. هذا يحاكي واقع كل إنسان، في كل زمان ومكان، استسلم للإبتعاد عن الله (عمداً أو بمجرّد التراخي الروحي) فبات عاجزاً حتى عن أن يستسلم لرحمة الله.

تقع البركة عند إحدى بوابات هيكل أورشليم، ولعلّها البوابة المخصّصة لإدخال ذبائح التضحية والتقدمات. حول البركة تجمّع «جمهور كثير من المرضى» على ما يقول النص الإنجيلي، وقد أتوا يأملون شفاءً عجائبياً من أمراضهم ينالونه متى نزل الملاك وحرّك مياه البركة. تجدر الإشارة هنا إلى أن البركة المذكورة كبيرة تقارب مقاساتها التسعين متراً بستّين، بما يعني أن المتحلّقين حولها كانوا فعلاً جمهوراً كثيراً. تنوعّت أمراضهم ولكنّهم كلهم كانوا خارج الهيكل، وهذا يرمز إلى الإكتفاء بسطحية الانتماء الديني، وكلّهم كانوا هنا قابعين ينتظرون، وهذا يرمز إلى البلادة في السعي إلى الله. بالطبع هم ليسوا ملحدين، وإلا لما أتوا. والأمل في شفاء عجائبي ليس خطأً بحدّ ذاته. ولكن الإنتظار السلبي الذي يصوّره نصّنا الإنجيلي اليوم يرمز إلى فتور وحتى فقدان الحرارة في السعي إلى الله. «ليتك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي»، يقول الرب في سفر الرؤيا (٣: ١٥). إذا تأمّلنا بصدق في أعماق ذواتنا نجد أننا غالباً ما نشبه هؤلاء: نعرف شرائع الله ونعرف أنها تخلّصنا، ولكنّنا لا نسعى لإتمامها بل نكتفي بإتمام بعض «الواجبات الدينية». تعمينا الدنيا عن الاستنارة

العدد ٢٠١٣/٢١

الأحد ٢٦ أيار

أحد المخلّع

تذكار القديس كريس الرسول

أحد السبعين

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الخامس

فأخرج بُطرسُ الجميعَ خارجاً وجثا على رُكبَتيهِ وصلَّى. ثم التفتَ إلى الجسدِ وقال يا طابيتا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصرَت بُطرسَ جلست* فناولها يده وأنهضها. ثم دعا القدِّيسين والأرامل وأقامها لديهم حيَّةً* فشاع هذا الخبرُ في يافا كلِّها. فآمن كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥: ١–١٥)

في ذلك الزمان صعِد يسوعُ إلى أورشليم* وإنَّ في أورشليم عند بابِ الغنمِ بِركةً تُسمَّى بالعبرانية بيتَ حسدا لها خمسةُ أروقةٍ* كان مضطجعاً فيها جمهورٌ كثيرٌ من المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريكَ الماءِ* لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البِرْكَةِ ويحرّك الماءَ. والذي كان ينزلُ أولاً من بعدِ تحريكِ الماءِ كان يُبرأ من أيِّ مرضٍ اعتراه* وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ له زماناً كثيراً قال له أتُريدُ أن تُبْرأ* فأجابه المريضُ يا سيّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرّكَ الماءُ يُلقيني في البِركة بل بينما أكونُ آتياً ينزِلُ قبلي آخَرُ* فقال له يسوعُ قُمِ احمِلْ

بالإيمان الحقيقي، نعرف درب الخلاص ولكنّنا نعجز عن سلوكها (كالعُرج) وتتيبّس قلوبنا بفعل فقدان المحبة والرجاء (كيابسي الأعضاء).

يقول النص أن «ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرّك الماء، ومَن نزل أولاً في البركة كان يبرأ من أي مرض اعتراه». واضح من هذه الآية وارتباطها بما سبق أن الله يرحم خليقته ويتحنّن عليها مجاناً، فقط لأجل رأفته ومحبّته، وبمعزل تام عن استحقاقها. واسم البِرْكة معناه «بيت الرحمة». الملاك يحرّك الماء أي يضع فيه روحاً وحياة. فالماء الراكد يفسُد، وصورة البركة والماء الذي يصبح شافياً هي رمز مُسبَق لجرن وماء المعمودية، رمز أعطاه الله لليهود ليُهيّئهم لسرّ المعمودية بالماء والروح، على ما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم. قوة الحياة والشفاء التي يضعها الله في الماء ليست غريبة عن العبرانيين فهم يذكرون حتماً كيف فجّر موسى المياه من الصخرة بأمر الله في سفر الخروج. وبحسب القديس بولس الرسول، فالصخرة التي تفجّر منها ماء الحياة «كانت المسيح» (١ كور ١٠: ٤). هذا ونشير هنا إلى أنه في بدايات التصوير الأيقوني المسيحي، كان يُرمز إلى المعمودية بصورة بركة بجانبها رجل يحمل على كتفيه ما يُشبه حمالة المرضى. كذلك رأت المسيحية منذ أجيالها الأولى، في هذه المعجزة التي حصلت لا بلمس الماء بل بكلمة المسيح، صورة عن سر التوبة.

مرة جديدة نرى الرب يسوع هو الآتي إلى المحتاجين منه الشفاء، وهو أيضاً المبادِر إذ يسأل ذاك المقعد منذ «ثمان وثلاثين سنة» إن كان يريد أن يبرأ. هذا سبق فرآه إشعياء النبي إذ قال: «هو يأتي فيخلّصكم، حينئذٍ تتفتح أعين العُمي وآذان الصمّ تتفتح، حينئذٍ يقفز الكسيح كالأيّل» (٣٥: ٤–٦). تستوقفنا هذه الـ«ثمان وثلاثين سنة» إذ رأى فيها آباؤنا القديسون صورة لبقاء شعب إسرائيل تائهاً في صحراء سيناء طيلة ثمانٍ وثلاثين سنة، على ما في سفر تثنية الإشتراع (٢: ١٣–١٥) ومن ثم عيشهم تحت شريعة كتب التوراة الخمسة (للبركة خمسة أروقة)... إلى أن حان الأوان فتجسّد المسيح وصار الخلاص متاحاً للجميع. نعود إلى ذلك المُقعد. هو لم يُجِب بـ«نعم، أريد أن أبرأ»، بل «يا سيّد ليس لي إنسان يلقيني في البركة بل بينما أنا آتٍ يأتي قدّامي آخر». في جوابه هذا لم يشتكِ ذاك الإنسان من مرضه وحسب، بل أيضاً وبالمقدار عينه من كونه متروكاً وحيداً ومن أنانية الناس. ظاهرياً يبدو الجواب مُبرَّراً. ولكن بالمعنى الروحي، هذه هي حال الحياة في الخطيئة التي تحوّل نظر صاحبها عن مأساة ابتعاده عن الله، إلى خطأ أو خطيئة الآخرين. الخطيئة تخدع صاحبها أولاً فيبرّر ذاته بذاته، لا يرى لوماً إلا في الآخرين، فيبتعد بالتالي أكثر فأكثر عن الله.

أما الرب فقد رأى في المخلّع إنساناً عنده الإرادة أن يخلص وإلا لما كان هنا طيلة هذا الزمان، ولكن مرضه وأنانية الناس ضلّلاه ويعوقانه. تحنّن عليه إذ رأى مأساته وكيف أن «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفارة عنه» (مز ٤٩: ٧)، فأمره بسلطانه الإلهي قائلاً «قم احمل سريرك وامشِ»، وهكذا كان للحال. هذا هو، في وجدان كنيستنا، سر التوبة

سريرَك وامشِ* فللوقت بَرِئَ الرجلُ وحمل سريرَهُ ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّه سبتٌ فلا يحِلُّ لك أن تحمِلَ السريرَ* فأجابهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَك وامشِ* فسألوهُ مَن هو الإنسانُ الذي قال لك احمِلْ سريرَك وامشِ* أمَّا الذي شُفي فلم يكُن يعلمُ مَن هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكل فقال له ها قد عُوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلا يُصيبك أشرُّ* فذهبَ ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأهُ.

تأمل

«فأخرج بطرسُ الجميع خارجاً وجثا على ركبتيه وصلّى».

الصلوات تفيد كثيراً. أتذكرون كورنيليوس قائد المئة الذي استحقّ أن يعرف الإيمان الحقيقيّ لأنّه «يصنع حسنات كثيرة للشعب ويصلّي إلى الله» (أع ١٠: ٢). أتذكرون أيضاً طابيتا البارّة التي «كانت تعمل أعمالاً صالحة وإحسانات» (أع ٩: ٣٦)، وعندما ماتت أُقيمت بصلاة الرسول بطرس. وفي زمن الملك حزقيا، خلص الله أورشليم من الآشوريين، لماذا؟ لأنّ وهكذا نحياه: «قم»، أي انفض عنك ثقل الخطيئة المتراكم وحرّك كيانك الراكد حتى الآن. «إحمل سريرك»، أي لا تنسَ ضعفاتك لئلاّ تعود وترزح تحتها من جديد. «إمشِ»، أي إمضِ قُدُماً إلى الله مخلّصك. اترك أرضَ أمراضك إلى الأرض الجديدة التي افتتحها لك الرب، «إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس ملء قامة المسيح» (أف ٤: ١٣). مَن أتى إلى المسيح تائباً بصدق ينال بفعل الكلمة الإلهية شفاءً تاماً، بل ومناعة شرط أن «لا تخطئ أيضاً فيكون لك أشر».

انتصاف العيد

نصف الخمسين هو من الأعياد السيّدية، تُعيّد له الكنيسة المقدسة في منتصف الفترة الفاصلة بين الفصح والعنصرة، أي يوم الأربعاء الذي يلي أحد المخلّع بعد الفصح. قد لا يكون هذا العيد معروفاً لدى الكثيرين لكنّه عيد سيّدي عظيم لأنّه يتعلّق بالمسيح الرب، إذ فيه يُعيَّد للمسيح كحكمة الله المتجلّية في عمله الخلاصي منذ اعتماد المسيح في نهر الأردن إلى تجلّيه على الجبل أمام تلاميذه، وآلامه وقيامته المجيدة. يُعتبر تيبيكون كنيسة القديس موكيوس في القسطنطينية سنة ٩٠٣ م. أقدم مخطوط يذكر هذا العيد، وفيه يذكر تفاصيل عنه إذ كان يحضر الإمبراطور آنذاك صباحاً بلباسه الرسمي وجميع مرافقيه إلى الكنيسة، حيث تُقام خدمة القداس الإلهي برئاسة البطريرك. وبعد القداس الإلهي يدعو الإمبراطور البطريرك والجميع إلى مائدة احتفالية في البلاط.

يتزامن عيد نصف الخمسين مع عيد المظال اليهودي، الذي هو ثالث أعياد اليهود أهميةً، بعد الفصح اليهودي والخمسين. يصف المؤرّخ اليهودي يوسيفوس هذا العيد بأنّه «فائق القداسة والأهمية عند اليهود». فهو مخصص لتذكّر إقامة اليهود في البرية في طريقهم من أرض مصر إلى أرض الميعاد. وإذا كان عيد الفصح قد خُصّص لتذكار عبور البحر الأحمر، وعيد الخمسين لتذكار صعود موسى إلى جبل سيناء لتسلّم ناموس الله، فإن عيد المظال قد خُصّص ليتذكّر اليهود كيف حفظهم الله عجائبياً خلال رحلتهم إلى أرض الميعاد.

رتبت الكنيسة هذا العيد ليكون في منتصف عيدين سيّديين كبيرين هما القيامة والعنصرة، في يوم الأربعاء الذي يقع بعد خمسة وعشرين يوماً من الفصح وقبل خمسة وعشرين يوماً من العنصرة، أي في منتصف البندكستاري بين العيدين السيّديين. وهذا ما تقوله لنا الطروبارية الأولى من صلاة غروب العيد: «لقد حضر انتصاف الأيام التي ابتداؤها من القيامة وختامها عيد الخمسين الإلهي، وقد تشرق بما أنها مالكة الإشراق من الجهتين ومقرنة كليهما، وقد وافت مظهرة شرف الصعود السيدي ولامعة به».

قد يسأل الإنسان المؤمن لماذا جعلت الكنيسة من العيد اليهودي عيداً سيديًّا مهماً. للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نفهم ما هو عيد المظال اليهودي. سُميّ عيد المظال بسبب الطريقة التي كان يُحتفل بها. فقد كان اليهود ينصبون الخيام في الساحات وأفنية الدور وعلى سطوح منازلهم، ويقطنون فيها خلال فترة العيد التي تدوم سبعة أيام. وقد

حزقيّا كان بارًّا وصلّى بحرارة من أجل مدينته وشعبه. قال الرب للملك الصالح: «أنا سأحمي هذه المدينة» (٢ مل ١٩: ٣٤)، وهذا ما فعله بالضّبط.

هذه الأمثلة كلّها والكثير غيرها التي نجدها في الكتب المقدّسة، على ماذا تدلّنا؟ إنّها تدلّنا على أنّ صلوات القدّيسين من أجلنا، بل حتى صلواتنا، يستجيبها الله عندما نكون أبراراً ورحماء وعطوفين. على العكس، عندما نقترف الخطيئة بالأيدي والأرجل واللسان والذهن والقلب، متجاوزين الناموس الإلهي، كيف نتجاسر على التوجّه إلى الله طالبين معونته أو إحسانه؟ وكيف نتجاسر على أن نطلب شفاعات القديسين؟

إذاً، قبل أن نرفع أيدينا نحو السماء بتضرّع، لنسجد أولاً. ولأنّنا ننفذ أعمالاً شريرة كثيرة بأيدينا، حُدِّدَ لنا أن نرفعها عندما نصلّي، لكي أنّ العمل الذي تقدّمه عند الصلاة يمنعها من الإثم ويبعدها عن الخطيئة. هكذا ستتذكّر، عندما تريد أن تسرق شيئاً أو تضرب أحداً، أنّ هاتين اليدين سترفعهما إلى الله على أنّهما سَنَدٌ لك، وأنّك بهما ستقدّم له قربان الصلاة الروحية. لذلك لا تلوّثهما ولا تُخْزِهما ولا تجعلهما مستحقتين المثول أمام الله بارتكابهما أيّ مخالفة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

سُميّ العيد بعيد «المظال» لأن مكان الإحتفال به كان تحت المظال للإعتراف بحماية الله ووقايته لهم بالسحابة المنيرة خلال رحلتهم في الصحراء. إذا اعتبرنا أنّ كل ظهورات الله في العهد القديم هي ظهورات للكلمة غير المتجسّد، وبأن السحابة المنيرة كانت المسيح، نفهم إذاً أن عيد المظال اليهودي يشير إلى المسيح.

لقد خصّص الله عيد المظال لنفسه وذلك من خلال الوصية التي أعطاها لموسى. فقد قال له: «كلّم بَني إسرائيل قائلاً: في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المِظال سبعةَ أيام للرب. في اليوم الأول محفلٌ مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا. سبعة أيام تقرِّبون وقوداً للرب. في اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس تقرِّبون وقوداً للرب. إنَّه اعتكافٌ. كلُّ عملِ شغل لا تعملوا» (لاو ٢٣: ٣٤-٣٦). وبما أن العيد يصادف موسم جني الثمار فهم أيضاً يقدّمون الثمار مع أضاحيهم كشكر الله. وهكذا فقد سميَّ «عيد الحصاد» و«عيد الاجتماع». أمَّا فكرة قضاء فترة العيد في خيام فكانت وصية الله التي أُعطيَت أيضاً لموسى: «في مظال تسكنون سبعة أيام. كل الوطنيين في إسرائيل يسكنون في المظال لكي تعلم أجيالكم أنّي في مظال أسكنتُ بني إسرائيل لما أخرجتُهم من أرض مصر» (لاو ٢٣: ٤٢-٤٣).

ولفهم أكثر لأهمية هذا العيد في حياة الكنيسة لا يسعنا إلاّ أن نسلط الضوء على المقطع الإنجيلي الذي نقرأه (يو ٧: ١٤-٣٠)، حيث صعد الرب يسوع في إنتصاف العيد اليهودي إلى الهيكل ليعلّم عن ألوهيته، وقال إنّه مساوٍ للآب، وإنّ الآب أرسله إلى العالَم «فنادى يسوع وهو يعلّم في الهيكل تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني» (يو ٧: ٢٨-٢٩). هذا التعليم أثار إستغراباً عند اليهود وتساؤلاً إذا كان هو المسيح الذي ينتظرونه أم لا. هذا من جهة، أما من جهة أخرى فنستمد أهمية العيد من طروباريته «في انتصاف العيد اسقِ نفسي العطشى من مياه العبادة الحسنة أيها المخلّص. لأنّك هتفت نحو الكل قائلاً: من كان عطشاناً فليأتِ إليّ ويشرب، فيا ينبوع الحياة، أيها المسيح إلهنا المجد لك»، ومن القنداق: «في انتصاف العيد الناموسي، قلت للحاضرين أيها المسيح الإله السيد والصانع الكل، هلمُّوا استقوا ماء عدم الموت. لأجل ذلك نجثو لك ونهتف بإيمان قائلين: هب لنا رأفتك وتحننك لأنك أنت هو ينبوع حياتنا»، اللذين من خلالهما تعلن الكنيسة أنّ المسيح هو الماء والينبوع الحي الذي مَن يشرب منه لا يعطش أبداً (يو ٤: ١٣). هذا الماء هو الروح القدس الذي نأخذه في المعمودية، الذي يجدّد حياتنا وينقيها، ومنه نشترك في عطايا الله ونثبت فيها.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb